الـكذب والنسيان

كما يراهما «أبو العلاء المعرى»

للأستاذ كامل كيلانى

[تتمة ما نشر في العددين السابقين]

١٨ — شعر الضب :

ويندد فى رسالة الأغريض بالرواة الـكاذبين فيقول : « وقد تمادى بأبى يوسف — رحمه الله — الاجتهاد فى إقامة الاستشهاد ، حتى أنشد رجز الضب ، وإن معداً من ذلك لجد مغضب . أعلى فصاحته يستعان بالقرض ، ويستشهد بأجناس الأرض . ما رؤبة عنده بنضير ، فما قولك فى ضب دامى الأظافير .

١٩ — كذب النجوم

وقد خشى أن يصل الـكذب إلى الـكواكب والنجوم فقال :

« فياليت شعرى هل تُراع من الروى وتركعُ نُسكا بالعشـــاء وبالظهر

وتكذب أن المين فى آل آدم غرائز جاءت بالنفاق وبالمهر

٢٠ — حديث مهلهل

ويسأل عدى بن ربيعة المعروف بمهلهل التغلبى ، أخبرنى لم سميت مهلهلا فقد قيل إنك سميت بذلك لأنك أول من هلهل الشعر ، أى رققه . فيقول : إن الـكذب لـكثير . وإنما كان لى أخ يقال له امرؤ القيس ، فأغار علينا زهير بن جناب الـكلبى ، فتبعه أخى فى زرافة من قومه ، فقال فى ذلك :

لما توقل فى الكراع هجينهم (١) هلهلت (٢) أثأر مالكا أو حنبلا

وكأنه باز ، علتـــه كبرة يهدى بشكته الرعيل الأولا

فسمى مهلهلا ، فلما هلك شبهت به ، فقيل لى مهلهل .

فيقول الآن شفيت صدرى بحقيقة اليقين .

٢١ — حديث المرقشين

ويسـأل المرقش الأكبر عن الأبيات التى يرويها له بعض الناس :

« تخيرت من نعمانَ عُودَ أراكة لهنـد ، ولـكن من يبلغه هندا

خليلى جوزا — بارك الله فيكما وإن لم تكن هند لأرضكما قصدا

وقولا لها : ليس الضلال أجازنا ولـكننا جُزْنا لنلقاكِ عمدا »

ويقول له : ولم أجدها فى ديوانك ، فهل ماحكى صحيح عنك ؟ »

فيقول المرقش : « لقد قلت أشياء كثيرة ، ولـكنى سرقتها (أى : غفلت عنها وجهلتها) لطول الأبد .

وينعطف إلى المرقش الأصغر ، فيسأله عن شأنه مع بنت المنذر ، وبنت عجلان ، فيجده غير خبير ، قد نسى لترادف الأحقاب .

فيقول : « ألا تذكر ما صنع بك جنـاب . فيقول : وما صنع جناب ؟ لقد لقيت الأقودين (أى : الدواهى) وشربت الأمرَّين .

٢٢ — نطق اللسان

ومن أبرع ماقاله فى التنديد بالـكذب قوله فى رسالة الغفران :

« وإذا رُجع إلى الحقائق فنُطْقُ اللّسان ، لا يُنبىء عن اعتقاد الإنسان ، لأن العالم مجبول على الـكذب والنفاق . ويحتمل أن يظهر الرجل بالقول تديناً ، وإنما يجعل ذلك تزيناً ، يريد أن يصل به إلى ثناء ، أو غرض من أغراض الخالية أم الفناء . ولعله قد ذهب جماعة هم فى الظاهر متعبدون وفيما بطن ملحدون . ومايلحقنى الشك فى أن « دعبل بن على » لم يكن له دين ، وكان يتظاهر بالتشيع ، وإنما غرضه التكسب ، وكم أثبت نسباً بتنسب . ولا أرتاب أن دعبلا كان على رأى الحكمى وطبقته . والزندقة فيهم فاشية ومن ديارهم ناشية .

٢٣ — الـكذب الفنى

أما الـكذب الفنى الذى كان يضطر إليه الخيال ، فقد أبدع شاعرنا فى الاعتذار عنه فى مقدمة سقط الزند — كما قلت فى

(١) يعنى بالهجين : زهير بن جناب .

(٢) هلهلت : قاربت .

رسالة الهناء — حين عرض لتسويغ اضطراره إلى حذف أسماء من غالى فى مجاملتهم ، وأسرف فى تخيل المزايا الباهرة التى نحلها إياهم فى قصائده ، معتذراً عما ارتكبه من الشطط بأنه لم يمن أحداً منهم بما قال ، ولم يقصد — بما نظم فى ربان الحداثة (أول الشباب) وجنّ النشاط (شدة المرح) إلى غير مرانة الطبع ورياضته ، ثم شفع ذلك الاعتذار بآخر فقال : « ولم أطرق مسامع الرؤساء بالنشيد ، ولا مدحت طالباً للثواب ، وإنما كان ذلك على معنى الرياضة وامتحان السُّوس (الطبع) فالحمد لله الذى ستر بِغُفَّة من قوام العيش ، ورزق شُبْعَة من القناعة أوفت على جزيل الوفر » .

* * *

ولكنه لم يلبث أن عزف عن هذا الباطل ، ونفر طبعه من تلك الأكاذيب فهجر الشعر قائلا فى مقدمة سقط الزند : « ثم رفضته (يعنى الشعر) رفض السَّقب غرسه ، والرأل (ولد النعام) تريكته (بيضته التى خرج منها وهو فرخ) ، رغبة عن أدب معظم جيده كذب ، ورديئه ينقص ويجدب (يعيب) . وهنا يقول : « وما وجد لى من غلو ، عَلِق — فى الظاهر — بآدى ، وكان مما يحتمله صفات الله — عز سلطانه — فهو مصروب إليه .

وقد أخذ نفسه — فى قابل أيامه — بهذا العهد فوقف تمجيده وإجلاله على خالقه وحده ، كما ترى ذلك فى اللزوميات ورسالة الغفران ، والفصول والغايات .

٢٤ — المثل العليا

وقد أشار فى تلك المقدمة النفيسة إلى مبدأ جليل ما أجدر محبى الأدب العربى أن يتنبهوا إلى خطره ونفاسته ، فآثر أن يوجه مدائحه إلى المثل العليا — حيثما وجدت — فى أفذاذ الموهوبين ، من سالف القدامى النازين ، وقابل الذرارى القادمين ، فقال : « وما صلح لمخلوق سلف من قبل ، أو لم يخلق بعد ، فإنه ملحق به » . ثم أعلن براءته مما جمح به طبعه ، فقال مستغفراً نادماً : « وما كان من محض المين لاجهة له ، فأستقيل الله العثرة فيه » .

ثم وصل إلى ذروة التوفيق فى تعليل الكذب الفنى وتسويغه ، فقال : « والشعر للخلد ، (للنفس أو القلب) مثل الصورة لليد : يمثل الصانع مالا حقيقة له ، ويقول الخاطر (القلب) ، مالو طولب به لأنكره » .

ثم لخص دستور الشعراء ومن لف لفهم من رجال الفنون فقال : « ومطلق — فى حكم النظم — دعوى الجبان : إنه شجيع ، ولبس العِزهاة ثياب الزِّير ، وتحلى العاجز بحيلة الشهم الزميع (النشيط الجرىء) » .

* * *

ومما نقبسه فى هذا الباب قوله فى رسالة الشياطين ١٣٩ : وزعم صاحب المنطق فى كتابه الثانى من الكتب الأربعة : أن الكذب ليس بقبيح فى صناعة الشعر والخطابة . ولذلك استجازت العرب أن تقول فتفرط ، وتسرف فى الشىء فتنخرق .

كامل كيلانى

فلسطينيات :

أخيال أم حقيقة ؟

فلسطين بعد ربع قرن !..

للأستاذ نجاتي صدقي

سيقول ولدى : أذكر أننى فى ليلة من ليالى الشتاء القارس جلست إلى جانب والدى وقد أحاطنى بذراعيه وكان يمتحننى فى دروسى ، ولما تطرقنا إلى الجغرافيا وأوضاع الدول والأمم ، سألنى فى أية سنة تم تقسيم فلسطين يا بنى ؟. فأجبته على الفور : سنة ١٩٥٠ يا والدى ! .

فربت على كتفى وقال : عافاك الله ، حقاً إنك لتلميذ نبيه ، ولكن هل طالعت شيئاً عن تاريخ ذلك التقسيم وكيف حصل ؟

قلت : قرأت فى كتاب تاريخ فلسطين للأستاذ سعيد الزيتاوى الصادر فى يافا سنة ١٩٦٥ ، والذى أقرته وزارة المعارف العربية الفلسطينية ، أن مشروع التقسيم لاقى وتنفذ مقاومة عنيفة من العرب واليهود على السواء . وكانت وجهة نظر العرب فى ذلك كما أوجزها الأستاذ الزيتاوى فى كتابه تتلخص فى أن الموافقة على التقسيم يعنى الاعتراف بحقوق اليهود فى جزء من فلسطين ، وإنه يخول اليهود حق إقامة دولة لهم فى أراضيهم ، وتأليف جيش ، وفتح باب المهاجرة إليها على مصراعيه ، ثم إنه يمكنهم من تصميم الصناعات فى دولتهم الأمر الذى يهدد كيان الدول العربية الاقتصادى ، وأن الدولة اليهودية فى ذلك الجزء من فلسطين ستصبح المخفر الأول للرأسمال الأمريكى فى الشرق الأوسط !.. كما أنها ستكون مصدر متاعب لا نهاية لها للجمعية العمومية الدولية ، ولمجلس الأمن العالمى ! .

وهنا قاطعنى والدى وقال : ولكن ألم يكن اليهود أحراراً فى تل أبيب والمستعمرات اليهودية ؟. ألم تكن لهم مجالسهم البلدية ، وصناعاتهم المحلية ، ومدارسهم الأهلية ؟ وهل كان العرب يتدخلون فى شئون اليهود الخاصة ؟ أو هل كان بمقدور أية أسرة عربية أن تسكن تل أبيب ؟ . أو هل كان يحق لعربى أن يقيم له حانوتاً فى مستعمرة (بنى براك) مثلا ؟ إذن كان التقسيم واقعاً فعلا قبل سنة ١٩٥٠ ، وكل ما فعلته لجنة التقسيم الدولية أنها خططت الحدود ، وعينت منطقة الحرام !..

ارتبكت لدى سماعى اعتراض والدى هذا والتزمت الصمت ، إلا أنه ابتسم وقال : يظهر أن معلومات الأستاذ الزيتاوى كانت غير كافية ، فجاء كتابه التاريخى هذا ناقصاً ، وهذا عيب لا يغتفر للمؤرخ النزيه .

واسترسل والدى قائلا : شرحت لى وجهة نظر المعارضين من العرب لمشروع التقسيم ، فهل لك الآن أن تبين لى وجهة نظر ذلك الفريق من العرب الذين أيدوا مشروع التقسيم بواسطة حزبهم المعروف بحزب الديمقراطيين الأحرار العرب ؟..

قلت : روى لنا الأستاذ الزيتاوى فى الصفحة ٩٧ من كتابه المذكور ، أن أنصار التقسيم من العرب رأوا فى التقسيم الحل الوحيد للقضية الفلسطينية ، لأنه يضع حداً فاصلا للمطامع الصهيونية ، ويمكن العرب من إقامة دولة مستقلة لهم فى فلسطين ، فيضربون حولها نطاقاً حديدياً ، قوامه الخنادق ، والمخافر ، والاسلاك الشائكة المكهربة ، والجيش العربى الفتى التيقظ المجهز بأحدث الأسلحة ؛ ثم إن العرب إذا ما رأوا أنفسهم فى جوار دولة مالية صناعية مخيفة ، تمسكوا بناموس المنافسة والتطور ، واستنجدوا برؤوس الأموال العربية ، وأرسلوا أبناءهم إلى البلاد الراقية ليتخصصوا فى مختلف العلوم والصناعات ، وهكذا فلا تنقضى حقبة من الزمن حتى يكون العرب قد أقاموا فى فلسطين مجتمعاً عربياً راقياً فاضلا تتضاءل إزاءه أخطار الدولة اليهودية ، ويصير مصيرها إلى التلاشى ، أو إلى البقاء فى الشرق كما هى إمارة لختنشتاين فى الغرب !..

قال والدى : أحسنت الجواب ... لكن هلا حدثتنى عن موقف اليهود من مشروع التقسيم وكيف قبلوه ؟

قلت : هذا ما افتقر إليه كتاب الأستاذ الزيتاوى ولم يتطرق إليه إلا لماماً ، وذكر أنه قال : إن غلاة الصهيونيين عارضوا

تحقيق علمي واستنتاج

الأبيـــوردي ...
ولادته ووفاته
للأستاذ ممدوح حقي

تتجه أكثر عناية مؤرخينا القـــدماء إلى تعيين وفاة من يؤرخون ، وقد يقدرون عمره يوم وفاته أحياناً ولكن ذلك نادر ، أما يوم ميلاده فأقل ما يأبهون له أو يتحرون صدقه . وإنك لواجد كتاب وفيات الأعيان وفوات الوفيات ولكنك لا تجد كتاب ميلادهم غالباً . ومع هذا فإن الاختلاف على سني الوفاة عظيم جداً قد يبلغ الخطأ فيه أحياناً نصف قرن ، ووفاة أبي المظفر الأبيوردي مثال لهذا الاختلاف بينهم ، فابن خلكان ومن نقل عنه يعينون سنة وفاته في عام ٥٥٧هـ . وياقوت ومن روى عنه يعينونها في عام ٥٠٧ هـ . ولقد قرأت كل من ترجم للأبيوردي من قدماء ومحدثين مما عثرت عليه مخطوطاً ومطبوعاً ، فلم ألق واحداً تنبه لهذا الاختلاف بله أن يبحثه ويحققه مع طول المسافة بين التاريخين وانفساح مجال البحث فيهما ، فدائرة معارف البستاني وشارح الديوان والزركلي الشاعر في أعلامه من المحدثين يتبعون رأي ابن خلكان ولعلهم نقلوا عنه ساهين سهوة العلماء ، ودائرة المعارف الإسلامية تؤكد رأي ياقوت ، فأيهما الصحيح يا ترى ؟ أو أيهما أقرب إلى الصحة إن شئنا التوفيق ؟!

إن في تحليل الوقائع التاريخية شفاء من هذا الكسل العقلي ، ولنقرأ ديوان الشاعر نفسه ، ونتجه إلى من مدحهم أو اتصل بهم ، فإن تجاوز أحدهم نصف القرن السادس ، فالأبيوردي زميله .

وأكثر قصائد شاعرنا في المقتـدي (توفي عام ٤٨٧ هـ) والمستظهر (توفي عام ٥١٢ هـ) ونظام الملك (قتل عام ٤٨٦ هـ) وعميد الدولة (قتل عام ٤٩٣هـ) وسيف الدولة صدقة بن ديس (قتل عام ٥٠١ هـ) وشيرويه (توفي عام ٥٠٩هـ) .. فهؤلاء جميعاً ، ماتوا حول أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس مما يؤكد

مشروع التقسيم بشدة . فمنهم من نعته بـ(غيتو) يهودي كبير ، ومنهم من قال إن الدولة اليهودية بمقتضاه تكون بمثابة (معتقل) المهاجرين اليهود ! وإن المهاجرين لن يجدوا متسعاً لهم في تلك الرقعة الضيقة ، فيزاحم بعضهم بعضاً ، فيتنغص عليهم عيشهم ، وتتحول دولتهم إلى جحيم لا يطاق ! أما أنصار التقسيم منهم ، فدحضون هذه المخاوف بقولهم : ستنمو الدولة اليهودية عمودياً لا أفقياً !

فقاطعني والدي قائلا : وما الذي تفهمه بالنمو العمودي لا الأفقي ؟

تلعثمت بالجواب ، واحمر وجهي خجلا ، وقلت : لا أدري!

فقال : عيب عليك أن تتلفظ باصطلاحات وأنت تجهل معناها أأنت ببغاء ؟ فالتطور العمودي هي ناطحات السحاب التي تراها اليوم في بعض مناطق الدولة اليهودية المجاورة ، والتي أقامها أصحابها لضيق الرقعة ، وكثرة السكان ... أما التطور الأفقي ، فهو التوسع على حساب الأراضي العربية ، وهذا غير ممكن ، لأنه يؤدي إلى وقوع حرب بين الدولتين ، لن يسمح بها مجلس الأمن الدولي !

وإذ هم والدي بطرح أسئلة مضنية أخرى ، طرق باب الدار ، وكان الطارق السيد عبد الحليم الملاح صاحب جريدة (الكوكب) وكان من عادته أن يسهر ووالدي ويتبادل وإياه أطراف الأحاديث . فرحب به والدي كعادته ، وأجلسه على الأريكة إلى جانبه ، وكان مدار حديثهما أخبار الحدود ، فروى السيد الملاح خبر اكتشاف قوة الحدود العربية نفقاً نقبه اليهود تحت الحدود ، كانوا يهربون منه البضائع المصنوعة في تل أبيب ، وأن مصلحة الجمارك اليهودية القائمة بالقرب من مرج بني عامر أو (إيمك) ، صادرت سلماً عربية غير مجركة ، وأن عربياً حاول الانتقال من يافا إلى تل أبيب بلا جواز سفر ، فاعتقل وظل طيلة يومه في استجواب مستمر ، ولم يفرج عنه إلا بعد أن أثبت للمسئولين أنه يجهل وجود دولة يهودية مجاورة ، وما إلى ذلك من أخبار الحدود المتعاقبة يومياً !

وهنا أخذني النعاس ، واستغرقت في نوم عميق ، تاركا والدي وصديقه يتناوبان أحاديث السهرة ...

نجاتي صدقي

رأى ياقوت أن وفاة شاعرنا كانت سنة ٥٠٧ هـ إذ كانوا كلهم معاصريه .

ولو قبلنا رأى ابن خلكان لأضمفه الحساب التالى : نفترض أن الأبيوردى اتصل بالمقتدى — وهو أول خليفة اتصل به الشاعر — وعمره لم يتجاوز الثلاثين ، فيكون عمره يوم وفاته نحو مئة عام ، والمسافة بين رأيي ياقوت وابن خلكان نصف قرن بالضبط فكيف أنفقها الشاعر ؟ وبمن اتصل مادحاً أومصاحباً ؟! ونحن لا نجد لذلك أثراً فى ديوانه وكله بين أيدينا ، اتفق عليه كل من أرخه بأنه هو نفسه نسقه ونظمه بيده وقسمه إلى فصول ثلاثة سماها : النجديات والوجديات والعراقيات . نعم لا نجد إلا قصيدة واحدة رثى بها الملك أحمد معز الدين المتوفى عام ٥٥٢ هـ[1] فيكون عمره يوم نظمها — على الحساب المتقدم — خمساً وتسعين سنة . ولو رجعنا إلى القصيدة ، لوجدنا فيها روح شاب متفلسف لا روح شيخ هرم وضع قدميه على حافة القبر . فنحن هنا بين أمرين : إما أن نقول بأن القصيدة مدسوسة عليه — وهذا رأى يعوزه النقد — وإما أنها له لكنها قيلت فى إنسان آخر اسمه أحمد عاصره الشاعر . ونحن إلى الرأى الثانى أميل ، لأن روح الأبيوردى ترفرف عليها فى كل مقطع (ولعله أحمد بن مروان صاحب الموصل المتوفى عام ٤٥٣ هـ بعد أن حكم إحدى وخمسين سنة وكان كعبة شعراء زمانه) .

هذا وإن من أوائل من نوه بالشاعر ، تاج الإسلام ابن السمعانى المتوفى عام ٥٦٢ هـ ، وهو ينقل عن شيرويه المتوفى عام ٥٠٩ هـ . فلو قبلنا رأى ابن خلكان لكان معناه أن شيرويه حدد وفاة الأبيوردى قبل سبع وأربعين سنة ، وهل يعقل أن يحدد من سبق نهاية من لحق ؟! ولقد كان السمعانى ثقة لا شك فيه ، ونعتقد أن ابن خلكان لم يخطئ ، وإنما جاء الغلط إلى كتابه عن طريق النساخ والكتبة الذين شغلوا من رسالتنا هذه صفحات لتحقيق صفر كوروه فكبروه فرقم كخمسة فى العدد !!

ويؤكد هذا الرأى أن الأبيوردى تسلم خزنة خزانة الكتب فى المدرسة النظامية بعد الأسفرائينى المتوفى عام ٤٩٨ هـ ، وهذا المنصب لم يكن يتولاه إلا ذو مكانة علمية كبيرة وللسن قيمتها فيه ، ولا نعتقد أن الأبيوردى وصل إليه إلا بعد أن اجتاز مرحلة واسعة من عمره تسلح فيها بعلم وفير وظهرت مؤلفاته ونبهت شهرته وانتشر شعره .

إذا تأكد لدينا هذا ، وعرفنا أن الأبيوردى توفى عام ٥٠٧ هـ ففى أى سنة ولد يا ترى ؟ وكم كانت سنه يوم وفاته ؟ هـــذا ما لم يذكره أحد فلنرجع إلى ديوانه ، ولن نطوف فيه كثيراً حتى نقع على قصيدة يمدح بها الأمير سيف الدولة المتوفى عام ٥٠١ هـ ويصور له فيها ألمه لبياض شعره إذ ألم الشيب برأسه قبل بلوغه الأربعين فيقول :

أقبل بلوغ الأربعين تسومنى صروف الليالى أن أشيب وأهرما

ونحن نعلم أن سيف الدولة ولى الإمارة مدة اثنتين وعشرين سنة ، فلو فرضنا أنه مدحه سنة توليه الملك أى عام ٤٧٩ هـ لكانت ولادة الأبيوردى عام ٤٣٩ هـ على أبعد تقدير .

غير أنا لا نلبث حتى نرى له قصيدة أخرى يشكر بها الوزير محمد بن منصور المتوفى عام ٤٥٦ هـ فيكون عمر الشاعر يوم نظمها — على حسابنا المتقدم — سبعة عشر عاماً فقط ، وهذا غير معقول إذ لا يحتمل أن تكون شهرته فى هذه السن المبكرة قد بلغت من الذيوع درجة تجعل شرف الدين بن منصور يتبرع تبرعاً بجميل يسديه إليه التماساً لشعره وشكره كما يدعى فى القصيدة نفسها إذ يقول :

تبرع بالمعـــروف حتى كأنه بعد اقتناء المال إحدى المثالب

ونحن أميل إلى الظن أنه ولد قبل هذه السنة ، وما وصفه الشيب الذى حدث عنه سيف الدولة إلا حكاية ألم متقدم مزمن ، وأنه حين توفى عام ٥٠٧ هـ كان قد بلغ من العمر طولا مديداً ظهر أثره فى شعره المحكم حين اتصاله بالمقتدى والمستظهر وسيف الدولة وكلهم عاصروه أواخر القرن الخامس .

ممدوح حقى

---

(١) الديوان ص ٧

أبي . . . !

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي

راحل ! يا ضلالَ هذا الوجود   هو باق في خاطري ونشيدي
ومن الرحلة البعيدة لقيا   بين روحين فوق دنيا القيود
هامتا بعد فرقة الجسد الفاني (م) إلى غير فرقة أو شرود
تنثران الأشواق همساً ونجوى   وتميشان في ادكار العهود
السرار الخفي يسري بسمعي   سريان الحنين بين العود

يا أبي ... شاهت الحياة بعيني   والجديد البهيج غير جديد !
ألقِ لي الحكمة الكبيرة واملأ   مسمعي من يقينها المنشود
قد عبرت الحياة من شاطئٍ دانٍ (م) إلى شاطئٍ قريب بعيد
واجتليت الأسرار في حلك الدنيا (م)
بهاد من فطرة التوحيد
عشقت روحك الرياضة والتسبيح (م)
بواد لا ينتهي لحدود
أنت أطلقتها فهامت بسرٍّ   أدركته على رماد الشهيد
ما انطلاق الأرواح ؟ ما هجعة الجسم؟ وقد قرَّ فوق هذا الصعيد
ما انطفاء الحياة حين تُولّى ؟   ما حياة الأرواح فوق اللحود؟
ما اللقاء الكبير في الجدث الضيق ؟ (م)
ما السر بين تلك السدود ؟
ما ارتياد المجهول من سبل الغيب؟ (م) أنعشي لغاية أم نودي
طالما قلتَ لي تحدثُ عنها   وتعيد الحديث للمستعيد
كاشفاً عن حقائق الكون دقّت   وتأبّت على اللجوج العنيد
ترسل القولةَ الصريحة لله   وما عن رضائه من محيد
صادراً عن صفاء نفس تسامت   وتعالت عن الهوى والحقود
عشقت عالم السماء وباعت   عالَمَ الأرض بالرضاء الحميد
عشت لم تدخر سوى العمل الصالح (م)
لله لا لجاه العبيد !

لهف نفسي، وقد ضممت وليدي   قائلا : ذاك طارفي وتليدي !
واثباً حوله تناغيه فرحان (م) فيهتز هزة الأملود
وتغنيه في ضجيج وشدو   ناسياً عنده وقار الجدود !
من له بعد رحلة لك طالت   فيناديه صائحاً : يا حفيدي ؟ !
لكأني به يسائلني الآ   ن وتلك الدموع سؤل الوليد
حين يلقي بنظرة لي حيرى   ويجيل العينين بين الشهود
دافق الدمع في صراخ كئيب   ذقت منه مرارة التسهيد
يرسل النظرة الأسيفة ولهى   تتندّى في طرفه المكدود
موحش شاقه حنوُّ عطوف   ما جفاه في يقظة وهجود
حينما يشتكي تهدهد شكوا   ه ليغفو في صدرك المجهود
فإذا نام كنت أحلى رؤاه   أي حلم يرف فيها سعيد ؟!

جلَّ فيك العزاء يا والدي البر   وآه من يومك المشهود !
شئت أن ترتقي لربك في الفجر (م) مع النور هادياً في الصعود !
سمةُ المؤمنين ، يسعى سناهم   بين أيديهم بدار الخلود
وُعِدَ المتقون جنة عدن   فتمتع بظلها الممدود
وانهل السلسل النمير رحيقاً   شمشموها في حوضها المورود

يا أخي والعزاء منك جميل   ما الجرح القصيد غير القصيد(1)
مسحت أدمعي دموعك تنثا   ل عقوداً ؛ أكرم بها من عقود
نثروها فوق الضريح وروداً   فتندى بدمع تلك الورود

(1) إشارة إلى الشاعر أحمد مخيمر وسننشر قصيدته في العدد القادم .

يا ابن أمي . . .

للمرحوم أبي القاسم الشابي

خلقت طليقاً كطيف النسيم   وحراً كنور الضحى في سماه
تغرد كالطير أين اندفعت   وتشدو بما شاء وحي الإله
وتمرح بين ورود الصباح   وتنعم بالنور أنى تراه
وتمشي كما شئت بين المروج   وتقطف ورد الربى في رباه
كذا صاغك الله يا ابن الوجود   وألقتك في الكون هذي الحياه
فما لك ترضى بذل القيود   وتحني لمن كبلوك الجباه
وتُسكت في النفس صوت الحيا   ة القوي إذا ما تغنى صداه
وتطبق أجفانك الناعسا   ت عن الفجر والفجر عذب ضياه
وتقنع بالعيش بين الكهوف   فأين النشيد ؟ وأين الإباه ؟ !

أتخشى نشيد السماء الجميل ؟ — أترهب نور السما فى فضاء ؟!
ألا انهض وسر فى سبيل الحياة — فمن نام لم تنتظره الحياه
ولا تخش مما وراء القلاع — فما ثم إلا الضحى فى صباه
وإلا ربيع الوجود النضير — يطرز بالورد ضافى رداه
وإلا أريج زهور الصباح — ورف الأشعة بين المياه
وإلا حمام المروج الأنيق — يغرد مندفعاً فى غناه
إلى النور ! فالنور عذب جميل — إلى النور ! فالنور ظل الإله !

شفتاها ...!

للأستاذ أحمد أحمد العجمى

كلما قبّلتُ فاهـا — أسكرتنى شـفتاها
وهما كأسان من صهـ — باء لا أسلو هواها
صبّها باخوسُ فى فيـ — ها وكوبيدُ احتساها
فغدا باخوس رباً — وكيوبيد إلها
شـفتاها غنوتا نجـ — وى لعشّاق صـباها
أسمعُ الأنغامَ بالأذ — ن وبالعين أراها
أىُّ لحن ذلك اللحـ — ن الذى قبّل فاها ؟!

شـفتاها منهل الأشـ — واق للصب المشوق
وشعاعان من الشمـ — س زهتْ وقتَ الشروق
وهما عاشـقتان ما — لت على صـدر عشيق
مَن رأى جمرة نارٍ — فوق قوس من عقيق ؟
أو رأى الورد زها واخـ — ضلّ فى كأس رحيق ؟
تنهلُ الأنظارُ منهـا — رِيَّها وهو صـداها !
ويودُّ الثغر لو كا — ن محيّاها شفاها !

فيها ذاك الفمُ الور — دىُّ رىٌّ وعبيرُ
شفتاه من صفاء النـ — فس روح وضـمير
وهما من رقة الإحـ — ساس شعر وشعور
ومحياها هو الجنـ — ةُ والثغر سـعير
وهى الحسناء من خفّـ — تها كادت تطير !!
أنا أهـواها وتهوا — نى ولن أهوى سواها
شفّها الوجد ولكن — شفتاها ... شفتاها !!

قصة الذرة :

تلك الأشعة المحيرة !

للأستاذ فوزى الشتوى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

المصادفة أيضاً

وقضى اكتشاف أشعة إكس على أحدوثة القرن التاسع عشر من أنه ختم الاكتشافات الطبيعية العظيمة . ودفع العلماء والباحثين فى شتى أنحاء الأرض لكشف مجاهل هذه الأشعة وموادها .



٣ — اكتشف أنطون هنري بكرل العالم الفرنسى أن اليورانيوم دائم الاشعاع

فأجرى العالم أنطون هنرى بكرل فى باريس مجموعة من التجارب أراد بها أن يعرف إن كانت المواد التى تفيء عند عرضها فى الشمس تخرج أيضاً أشعة إكس . ولحسن حظه وحظ العالم اختار أحد أملاح اليورانيوم فلف ورقة تصوير حساسة فى ورقة سوداء ووضع فوقهـا صليباً ثم عرض ملح اليورانيوم لضوء

الشمس ثم وضعه فوق الصليب . فلما حمض الورق الحساس ظهرت عليه صورة الصليب .

وكأن المصادفة تأبى إلا أن تتحكم فى كل كشف بالغ الأهمية . ففى أحد الأيام أراد أن يكرر تجربته ، وأعد الورقة الحساسة فى لفتها السوداء وفوقها الصليب . وانتظر أن تبزغ الشمس ليعرض فى ضوئها ملح اليورانيوم ولكن الغيوم تجمعت فحجبتها تماما فوضع الملح فوق الصليب ، وحفظ الجميع فى أحد أدراج مكتبه .

ومضت أسابيع فتذكر بكرل تجربته وعاد ليكررها . ولكن إحساساً غريباً دفعه لأن يحمض الورقة الحساسة بغير أن يعرض اليورانيوم للشمس ، فأصابته الدهشة التى أصابت رونتجن فان صورة الصليب ظهرت فيها أيضاً . وأدرك من فوره أن عرض اليورانيوم فى أشعة الشمس ليس له من قيمة فى إرسال ذلك الإشعاع الغريب وأن ملح اليورانيوم لسبب مجهول يرسل باستمرار أشعة غريبة تشابه أشعة إكس .

المواد المشعة ؟

وكان بيير كورى وزوجه مارى يعملان فى معمل بكرل ، وكان كلاهما مغرما بالأبحاث . فلما أعلن بكرل كشفه فى عام ١٨٩٦ استأذنته مدام كورى فى مواصلة البحث وكان هدفها أن تعرف إن كانت هناك أملاح أخرى غير ملح اليورانيوم ترسل هذا الإشعاع الغريب فوجدت ملحاً واحداً آخر هو ملح الثوريوم يرسل مثل هذا الإشعاع .

ولكنها اكتشفت أيضاً أن خام اليورانيوم يرسل إشعاعاً أقوى أربع مرات من إشعاع ملحة اللح النقى . وكان معنى هذا أن خام اليورانيوم يحتوى على مادة غنية باشعاعاتها العجيبة . وعزم بيير كورى على أن يتخلى عن إكمال بحثه ويعثر هو وزوجه على تلك المادة الفذة .

الراديوم

وتبرعت لها الحكومة النمسوية بطن من اليورانيوم الخام . فأخذا يحللانه بكل حذر ، ويستخلصان مواده مادة بعد أخرى . فكانت أول نتائج عملهما العثور على مادة تعطى «أشعة بكرل» . وقد أطلقت عليها مدام كورى إسم « بولونيوم » تكريماً لبلادها بولونيا . ولكنه لم يكن غنياً بالأشعة ليحقق أحلام البحث فواصلاه حتى كانت سنة ١٨٩٨ فاستخلص آل كورى من الطن أقل من قمحة من مادة تشع مليونين ونصف مليون ضعف إشعاع مادة اليورانيوم وسمياها « الراديوم » .

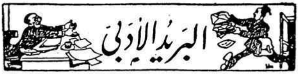


٤ — فى عام ١٨٩٨ عرف آل كورى الراديوم كما عرفا الدراجات

وكانت ذات خواص أخاذة فتشع الحرارة ، وتكهرب الجو حولها ، وتجعل كثيراً من المواد مضيئة إن قربت منها . كما كانت تقتل أنواع الميكروبات والأحياء الدقيقة . وأصيب العالم والعلماء بهزة عنيفة ، ففى سنوات ثلاث فوجىء العالم بأكبر اكتشافات عرفها التاريخ ، وأولها أشعة إكس عام ١٨٩٥ ثم أشعة بكرل عام ١٨٩٦ . ثم الراديوم عام ١٨٩٨ .

ولكن الأيام لم تترك آل كورى ينعمون بنتائج بحثهم ففى ابريل عام ١٩٠٣ دهمت سيارة بيير كورى وقتلته . وأسدلت الستار على حياة عالم وضع أساساً جديداً لأبحاث العلم الحديث . ففى جميع أطراف العالم ، وعلى أثر اكتشاف الراديوم بدأ العلماء يبحثون عن سبب الأشعة المجهولة ، والنشاط الاشعاعى . وأن يحصلوا على تفسير معقول للمواد الطبيعية ومنها هاتان الظاهرتان .

فوزى الشتوي



إلى معالى دسوقى أباظة باشا :

« كان معاليه فى الصدر ممن نالوا رضا المليك فأنعم عليهم ، وقد كان من نصيب معاليه الوشاح الأكبر من نيشان النيل »

يا سيدى ، أقل منـ   ـك ما أراك نِلْتَهُ !
ما زانك اليوم الوسا   مُ ... إنما قد زنته
صدرك يوحى مجده   لكلِّ ما حَمَلْتَهُ
المجد بحر خضته   ومنهج سلكته
المجد معنى مبهم   وأنت قد أوضحته
بيت الأباظيين أفـ   ـق قد رفعت سَمْتَه
يألق بالنور من الأقـ   ـمار ... لكن زدته
أعزك البيت الكريـ   ـم قدر ما أعززته
فإن أكن جملته   منك ... فقل أنصفته !

* * *

من الفراش ذلك الشعـ   ـر إليك يرسل
ما عاقنى عن نظمه   أنى بسقمى مثقل
خلا هواك ... كل شى   ء فى النهى معطل
إن لم أقله ... إنه   فى خاطرى يرتل
إن يك حب صادق   فالنظم شىء يسهل
يا سيدى ... أنت الذى   نحبه ونأمل !
فنل علاء دائماً   وإننا نبجل !
وابق ودم وازدد علا   أنت بذاك أمثل

العوضى الوكيل

إلى من يكتبون باللغة العربية :

من المعلوم أن رقم (١٠٠) يكتب (مائة) بزيادة الألف ويلفظ (مئة) . وهذه قاعدة قديمة فى اللغة لجأ إليها الناس تحاشيا من الإلتباس بين (مئة) و (منه) وذلك حين لم يكن للشكل والإعجام وجود . قال ابن قتيبة « و (مائة) زادوا فيها ألفاً ليفصلوا بينها وبين (منه) ، ألا ترى أنك تقول : (أخذت مائة) و (أخذت منه) ؟ فلو لم تكن الألف لا لتبس على القارىء » .

أما الآن فنحن نستعمل الشكل والإعجام ولم يبق ما يدعو إلى الإلتباس فى القراءة بين الكلمتين المذكورتين آنفاً أو غيرهما أو لم يبق ما يدعونا إلى أن نكتب (مائة) بزيادة الألف . وبديهى أنه إذا زالت العلة زال المعلول .

ولست أسوق كلمتى هذه عبثاً ، فإن كثيرا ممن يحسنون قراءة اللغة العربية يغلطون فى هذه الكلمة ، فإذا رأوا (مائة) لفظوها (مائة) حاسبين أن الألف أصلية ، وربما توهم السامع فظنها (ماءة) أى ماء ، وهنا نكون تجاه التباس آخر ناشىء من غلط فظيع ! حتى إن جماعة من مذيعى الإذاعات العربية يقعون فى هذه الغلطة ، ولا شك فى أن ملايين من المستمعين يتعلمون ذلك . وأذكر أنى كنت يوماً مع أستاذ جليل فى بيته نستمع إلى المذياع فوقع المذيع فى هذه الغلطة ؛ فتأوه الأستاذ وقال : « لقد فسدت لغتنا فإنا لله وإنا إليه راجعون » .

وأخيراً : أقترح على كل من يكتب باللغة العربية أن يكتب (مئة) ويلفظ (مئة) جارياً على القول الذى قدمناه : (وإذا زالت العلة زال المعلول) .

(بغداد)   **صبحى البصام**

من خماسيات الأميرى :

من الذين يزورون القاهرة فى هذا الشتاء الأستاذ عمر بهاء الأميرى ، وهو من شعراء حلب المجيدين ، ومحاميها النابهين . وقد اعتاد أن يجالس الأستاذ كامل كيلانى رجلا استثقله فى فندق (الكونتننتال) فمر به ذات ليلة فوجد فى مجلسه ثقيلا فجرى لسانه بهذه الأبيات يقابل فيها بين ظرف صديقه وسماجة جليسه :

شتان بين مهفهف   غض الحواشى ، كالفراشه
يصغى إليك ، ووجهه   زانته أضواء البشاشه
وغليظ أوداج ، إذا   لاطفته ، أبدى انكماشه

فظ السكوت ، وإن يناقش قلت : ما أدرى نقاشه
هـذا يضيع به الحشيـش[1] ، وذاك يفدى بالحشاشه

البعثات الأزهرية إلى الخارج :

إلى الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر :

أنت يا مولاى أزهرى نلت أرقى الشهادات الأزهرية ، وهى « شهادة العالمية من الدرجة الأولى » ولكنك لم تقنع بهذا الزاد العربى الشرقى مع خصبه ودسامته ، بل أردت أن تجمع بين علم الشرق الموروث وعلم الغرب المستحدث ، فرحلت إلى فرنسا ، وطلبت العلم فى رحاب «السوربون» وأجدت الفرنسية ، وكنت أستاذاً فى الجامعة الفؤادية سنوات وسنوات ، وبذلك أدركت أكثر من سواك مبلغ الخير الذى يحصله الأزهرى إذا ما جمع بين القديم والحديث ، وقارن بين تراث العرب وتراث الغرب ؛ فهل يكون عجيبا بعد هذا ، أو غريبا أن نلجأ إليك هاتفين بك لتسارع بتنظيم البعثات العلمية الأزهرية إلى الخارج من شباب الأزهر المعمور الذين أتموا دراستهم فى الكليات الأزهرية ، وعندهم استعداد وقدرة على الارتحال ومواصلة الطلب أكثر من الطاعنين فى السن المقتربين من هدوء الشيخوخة والهرم ؟ ! .

لقد سارعت الجامعات المصرية ، والوزارات والهيئات فى مصر فكتبت كتائبها ، وحشدت جموعها ، وأوفدت بعثاتها إلى الخارج ، عقيب الحرب مباشرة ، مع أن هذه الجامعات والوزارات تجد من أبنائها القدامى والمحدثين من ينوبون عن هذه البعثات أو يحلون محل أفرادها ...

أما الأزهر الشريف الذى يحتاج إلى البعثات أكثر من غيره فلم نر من أبنائه فرداً واحدا يرسل إلى الخارج فى بعثة من البعثات !

إن الأزهريين فى أمس الحاجة إلى دراسة اللغات الأجنبية ، وإلى الوقوف على شبه المستشرقين والملحدين ليدافعوا عن دينهم وإلى معرفة ألوان الحياة الاجتماعية والثقافية عند الغربيين ، ليستفيدوا منها فى بناء مجتمعهم الإسلامى الجديد ! فتى يتمكنون من تحقيق هذه الأهداف ! ! ...

لقد تشرفت يا مولاى الأستاذ الأكبر بالحديث أمام فضيلتكم منذ حين عن موضوع البعثات ، وتفضلتم بتقدير هذه اللهجة التى تهدف إلى الخير العام ، وتتحدث عن الرغبات الاصلاحية الشاملة ، واعتذرتم بأن العام الدراسى قد انتصف أو كاد ينتهى ، ولا يمكن إيفاد أحد من المبعوثين الأزهريين فى هذا العام ، ووعدتم بتنفيذ هذه الرغبة فى بداءة العام القادم ؛ ولكنا نخشى يا مولاى أن تشغلنا الأيام القادمة بشواغلها ، فلتستخر ربك ، ولتصدر أمرك بتنظيم لجنة تنظر من الآن فى تنظيم البعثات حتى إذا ما بدأ العام الجديد أو أقبل كانت الكتائب مجهزة ، والبعوث مهيأة ، والله يسدد خطاك ، ويديم عليك هداك ، ويحقق بك الآمال

أحمد الشرباصي
المدرس بالأزهر الشريف

ابن هكينا :

فى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد) : الحسن بن أحمد بن حكينا الشاعر المشهور ، قال العماد الكاتب : أجمع أهل بغداد على أنه لم يرزق أحد من الشعراء لطافة طبعه . وقيده فى تاج العروس بكسرتين مشدد الكاف (فى حكن) ، ومع شهرته وقع فى (فوات الوفيات) و (دائرة معارف البستانى) و (الأعلام للأستاذ الزركلى) مصحفا إلى (حَكِينا) بجيم مفتوحة وكاف مكسورة .

عبد القادر محمد

(1) مثل سورى معناه . أن ما يأكله من الحشيش يذهب ضياعاً أي لا يساوي ما يأكله .



الملك . . .

ديوان شعر للأستاذ محمود حسن اسماعيل

للأستاذ زكي طليمات

في عنوان هذا الديوان كفاء للدلالة على ما تضمنه ، ولن أجد أبلغ ما أقدم به مقالى عنه ، غير هذه العبارة التي أقتطعها من إهداء الشاعر شعره إلى سيد الكنانة وأمير البلاد .

« هذا هتاف الفن لأنوارك الجديدة في كل آفاق الحياة ، سكبته من دمى غناء يفيض للدنيا بحبك ، وينبض في جوانح الزمن بآيات وطنيتك »

وفي الحق أنه لهتاف يشق أجواز السماء ، أرسله الشاعر في تواجد الصوفي وفي نشوة الفتى الشابل ، فإذا الهتاف تارة تمتمات وتسابيح وترانيم تشع منها أضواء الروح ، وتارة أخرى إرنانات مدوية تشهر في الفضاء شهر السيوف ، تحى مقدم للبطل وتشيد بمفاخر البطولة ، وترفع رفع أعلام الأعياد ومشاعل الزينات .

ومباعث هذا الشعر مآثر (الفاروق) حفظه الله ، وقد فاضت به يداه في مناسبات ، فكانت أمن الخائفين والمروعين ، وأفراح المحزونين والمكروبين ، وبشائر الخير والفرج للمحرومين والصابرين . مآثر سجلها الشعر الموفق الأثر ، فإذا هي دستور البر والإحسان ، في زمن قل فيه البر والإحسان ، فهبت النظم الاجتماعية تفرض على الغني أن يشاركه الفقير في ماله ، وتقضى على المتخومين ذهباً وفضة بأن يخففوا مما تقلت به بطونهم بأن يبذلوا مما بين أيديهم . ثم يشرق الشاعر إشراقة أخرى ، فإذا بالشعر بين يديه يحكي قولة الحق في (الفاروق) ، قولة تتلخص . . . في أنه ملك بنفسه وبشعبه ، وليس ملكاً لنفسه وبدون شعبه .

كرم الباعث الذي فجر الشعر عيونا ونبل ، كما طاب قول الشاعر ونبه .

ولكل قصيدة في هذا الديوان مناسبتها ، وفي كل مناسبة تسجيل لمأثرة فاروقية ، هذا والقصيد يجرى على غرار ما هو مألوف في شعر المدائح والمناسبات ، فهو عرض لمآثر من سيق الشعر في ركابه ، ثم تنويه بفعل هذه المآثر في كشف النعمة وزوال الكروب ، ثم رسم لأصداء هذه المآثر في نفوس متلقيها ...

ولو قصر شعر (محمود حسن اسماعيل) على هذا فحسب، ولم يتجاوزه إلى ما هو أعرق في الشاعرية ، لقصر كلامنا على التنويه بشعر شاعر دفعه إخلاصه لمليك البلاد إلى أن يصدر ديوانا يحمل اسمه الكريم ، فالمدائح وشعر المناسبات يتسم أكثره بغيض في المبالغة والاجتلاب ، ووشى محمل بالتزاويق البيانية ،هذا والأدب العربي ، قديمه وحديثه ، ينوء بأحمال ثقيلة منه ، وما كان ليؤبه بهذا اللون من الشعر لو لم ينسب منه عرق رفيع يعتبر بحق من جيد الشعر مبنى ومعنى ، إذ يحمل طابع الصدق والاعتدال في التعبير ، ويلمع بإشراقات الحذق الفني في الصياغة والأسلوب ، ويتسم بالاتزان ، إذ فيه يروض الشاعر عن شطحاته وهو يزف آيات المديح ، غوص على المعاني وتوفيق في استخراج طريفها ولطيفها ، ويتجاوز استيحاؤه صفات الممدوح إلى الاستلهام من القيم الإنسانية العامة ، فتكون للشاعر التفاتات تجيء من غير افتعال وكأنها هجس الخاطر ، فتشد إلى القصيد سوراً أخرى من الحياة لا تلبث أن تزوده بجديد من المعاني ، فيتسع أفق الشاعر فيما يقول ، وتعظم متعة القارىء أو المستمع له ، وكأن الشاعرية الدافقة في نفس الشاعر لا يكفيها محور واحد تدور عليه ، فهي تتجاوزه قادرة إلى سواه من غير أن تجعل العرض يطغى على الجوهر ، وبدون أن تنفصم عرى التلاحم بين المعاني الأصيلة والواردة عليها .

والمتأمل شعر (محمود حسن إسماعيل) في هذا الديوان ، لا يعدم موطناً يطالعه بهذا .

انظر إلى قصيدته (نور من الله) ، فبعد مديح في الفاروق يبلغ ذروته في هذا البيت :

« ممكلك في شباب العمر تحسبه
لحكمة الرأى تحدوه القدامات »

إذ بك منقول على جناح خياله ، وقد يمم شطر الأهرام في

لفتة لطيفة ، ليحيط بك فى رحاب البطل (إبراهيم) ، وإذ بالشاعر يقول :

أهرام خوفو تهاب الجن ساحتها ... كأنما هى للأقدار خيمات
مخيمات وأسرار السماء بها ... كأنما هى للأفلاك جارات
وخيل رمسيس مازالت سنابكها ... تلقى حديث الوغى عنها الفتوحات
والسيف فى يد إبراهيم مافتئت ... للنصر ترعش حديه الخيالات
واد أثم العلى ، مرت به حقب ... أيامهن بكف الدهر رايات

واسمع الشاعر يقول فى قصيدته (تشهد الفأس) ...

قل لسارين مشوا فوق الثرى
بقلوب كخطاهم داميات . . .
ومشت أيامهن بين الورى
فى ظلام البؤس حيرى حافيات
أسبغ التـاج عليكم نوره
ورعاكم وحباكم بره
فاطرحوا الشكوى وإن طال الثرى
أيقظ الله لكم جفن الحياة .
فى عبير الحقل أو رمل الهجير
تشهـد الفأس على آلامكم

إلخ . . . ما ورد فى هذه القصيدة . . . .

هذا شعر يتفجر من القلب وليس مما يخرج من اللسان ، من قلب رجل لابس حياة الفلاح وشاهد حفاه وعريه ، وصلى فى محراب أحزانه وآلامه ، واشترك فى ضراعاته . وفى هذا الشعر ما ينبىء عن أن قائله إنما يصدر مخلصاً عما يحسه ، وليس عن هوى فى زف الكلام الموزون الموشى ، ومثل هذا الشعر يأسر القارىء ويغريه بإعادة تلاوته ، لا لجودة الحبكة فى الصياغة ، ولا لطف التعبير ، ولكن لما يتمشى فى جنبات الشعر من نفس حار يشع منه الصدق واليقين .

وفى الديوان ما يماثل هذا ، ولكن فى ألوان أخرى من المعانى والمناسبات ، فلا عجب أن يجىء أكثر الشعر فيه ، تارة زفرات وتنهدات ، وأخرى ابتهالات وتمنيات ، والشاعر فى كل هذا فتى الريف ، سليل حملة الفؤوس ، وعروس شعره جنية من الريف لها خفر أهله ، تطيف به وتهوم فوق رأسه فى دلال المرأة اللعوب ، إن أقبل عليها أدبرت ، وإن أغضى عنها أقبلت ، كما وصفها الشاعر فى قصيدته (تكلم أيها البحر) .

ومحمود حسن إسماعيل قد عرفناه بهذا ولهذا فى ديوانه الأول « أغانى الكوخ » ، وهى قصائد يجرى فيها الشعر جريان السيل الجارف ، ويحمل من الريف غبار مساربه ، وعبقة حقوله ، كما يتنفس عن ألم الفلاح وسقم العامل ، ويصف وصف المستبطن دخائل النفوس ، من طرحتهم عبودية الفقر والجهالة فى كهوف النسيان .

ونرى أن الصلة بين ديوانه « أغانى الكوخ » وبين ديوانه الجديد « الملك » قائمة على أحسن حال من حيث الباعث اللاشعورى لاطلاق شعره ، بيد أن الشعر فى الديوان الجديد يتسم بمسحة ظاهرة من الاناقة ولا أقول التأنق ، لأنه يحنى الرأس فى ساحة المليك ، فإذا الشاعر الذى عرفناه فى (أغانيه) وغيرها يهدر هدر الأمواج الصاخبة وينطلق بيانه كالسيل العرم الذى يحمل من الأرض كل ما يعلوها ، يستحيل نهراً صافى الأديم ، رقراق الماء ، ينساب منمقا حوافيه على إيقاع نسمات الأصيل ...

فإذا افتقدنا فى هذا الشعر الجديد الفورة المزبدة ، فقد أعاضنا الشاعر عنها الهدءة المؤنسة الموحية ، ولهذه كما لتلك ، جمال ودلال ، ومذاق ومتعة .

ولا عجب أن يبدو محمود حسن إسماعيل أنيقاً منمقاً فى شعره هذا ، فأى امرىء لا يصلح من هندامه وينفض عنه ماعسى أن يكون عالقاً به ويأخذ بأسباب الأناقة والنظام ، ما دام يعرف أنه سيمثل بين يدى مليك البلاد ! !

وثمت ظاهرة جديرة بالتوضيح فى هذا الديوان ، فإن أبياتاً من الشعر قد وردت وهى تأبى ألا تكشف عن معانيها إلا بعد ممانعة ومماطلة ، فهى تلوح ولا تفصح ، وتومىء ولا تبين . وقد يتوهم البعض أن هذا غموض أو إغراب من جانب الشاعر فى سوق المعانى ، وما هو كذلك ، وإنما هو طبع فى الشاعر يدفعه أحيانا — وقد يصدر فى هذا عن وعى أو فى غير وعى — إلى إيراد بعض من معانيه فى صيغة (التركيب[1]) أو الاجمال . فتكون مناوشة ومصاولة بين المعنى وذهن القارىء ذى النظر والتأمل ، وتكون متعة ذهنية دونها كل متعة يحسها القارىء بعد أن يمانعه الشعر فى الكشف عن كل مفاتنه عند النظرة المجلى .

(١) أى الذهاب فى التعبير والمعالجة من البسيط إلى المركب Synthèse وهذا نقيض (التحليل) Analyse



قصة ألبانية :

المهـــد الذهبى

[مهداة للأستاذ الكبير كامل كيلانى]

نقلها الأديبان :

وهبى اسماعيل حق وابراهيم خير الله

— ١ —

كانت الساعة تدق السابعة صباحا ، حين طرق الخادم باب المكتب ودخل قائلا لسيده فريد إن بباب المنزل قرويا يلح فى طلب الدخول لأنه سيتحدث إليك فى أمر على جانب كبير من الخطورة كما يقول ، فبما ذا تأمر ؟

— قروى ؟ !

— نعم يا سيدى !

— يريد أن يتحدث إلى أنا أم إلى والدى ؟

— لقد أخبرته أن سيدى الكبير خرج مبكرا إلى السوق ، وهو الآن فى متجره ، وأنك أنت الذى هنا ، فقال : إنه سيتحدث إليك .

— وهل أخبرك من هو ؟

— لا ، ولست أذكر أنى رأيته قبل الآن .

— ما دام الأمر كما تذكر فأذن له . قال « فريد » هذا ثم أخذ يحرك يده فى سرعة على الآلة الكاتبة لأنه كان يريد أن يتمم الرسائل التجارية الخارجية قبل الحادية عشرة ثم يذهب ليساعد والده فى المتجر ، لذلك لم يرفع رأسه ليرد على تحية الزائر إلا بعد أن أكمل السطر ثم قال : خيرا تريد أيها الفاضل ! فتلفت الرجل يمنة ويسرة وكان قصيرا ، وواسع الصدر ، عريض المنكبين ، يرتدى حلة واسعة من حلل الجيش ، وقد ربط رأسه بمنديل أحمر تدلى تحت ذقنه ، وأمسك بيده عصا عجراء ، فوقعت عينه فى جانب من جوانب الحجرة على مكتب رصت فوقه أكداس مكدسة من الدفاتر والملفات التجارية ، ورأى الكاتب قد انهمك فى تقليبها واحدا واحدا ، وقد أمسك القلم بيده يثبت فى ورقة أمامه ما يلزم منها ، وأنه لم يشعر بدخول القروى لانصرافه إلى ما بين يديه . ورأى أيضا الخادم الذى قاده ما زال ممسكا بمقبض الباب فى انتظار أمر سيده ثم قال : أريد أن أقول لسيادتك كلمة على انفراد . فاومأ « فريد » إلى الخادم أن ينصرف ، والتفت إلى الكاتب وقال :

— « يا أكرم » ! أعتقد أنه ليس لديك ما يمنع أن تشرب القهوة فى حجرة الإستقبال ، وأن تأمر لنا بقهوتنا هنا ، فغادرها الكاتب صامتا . ثم إن فريدا ابتعد بكرسيه عن المكتب ، وجلس قريبا من الموقد ، وأذن للقروى أن يجلس بجواره ، ثم أخرج علبة « التبغ » وقدمها للضيف فاعتذر بأنه لا يدخن فقال له فريد : وأية كلمة تلك التى تريد أن تتحدث إلى بها ؟

— وهل أنت السيد عفت ؟

— نعم أنا هو :

— اعذرنى يا سيدى ! فقد أزعجتك وأنت مشغول ، ولكنى — أطال الله عمرك — اضطررت إلى ذلك لأنى فى مسيس الحاجة إلى صادق معونتكم ، وحسن إرشادكم ، لنصبح فى وقت قصير ذوى مال وفير ، وجاه عريض .

وقد تكون إلى جانب هذا الطبع الخلاب ، نزعة من جانب الشاعر إلى إيراد غير المطروق والمبذول من المعانى ، فيأخذ بأسباب التنقيب والتوليد ، ويمعن فيهما إمعانا قد يحوطه شىء من التعقيد الذى ينشط التأمل ، فإذا الخطوط التى تستوى فيها معانيه منكسرة وليست مستقيمة ، وقد تلم بأكبر قسط من حيز المعنى كما يشغل الخط المنكسر أطول مسافة وهو منطلق من نقطة إلى أخرى ، تقابلها فى حيز الرسوم ، ولكن المعنى على هذه الحال قد يأتى على غرار لم يألفه من تعود أن يلم بالأشياء فى كامل كيانها عند النظرة الأولى ، وعلى نمط لا يروق من دأب على أن يأخذ الأشياء فى يسر ومن غير كد وإنعام نظر .

فى شعر (محمود حسن إسماعيل) ما يعطى طواعية ومن غير حساب وما لا يعطى إلا بعد مطالبة وممانعة وحساب ، والناس أمام هذا وذاك أذواق وأفهام .

زكى طليمات

مدير المعهد العالى لفن التمثيل العربى

— وأى معونة تحتاج إليها منا … ؟

— أنت — ولله المنة — فى بسطة من العيش ؛ فقد وهبك فوق ما يتمنى الإنسان من الغنى . وأنا — والحمد لله — ‍ـكو ضيق العيش فحالتى المادية ليس بها من بأس ، ولكن ‍ن يقنع المرء .

دهش فريد من هذا الكلام وأراد أن يطلب إلى الضيف أن ‍ز هذه القدمة وأن يأخذ فى الموضوع الذى جاء من أجله ، ‍كن مهارة « بيرام » — وهكذا كان يسمى — فى إلقاء الكلام ‍ه على أن يصغى إليه ليتم حديثه فقال : منذ أيام وأنا أواصل ‍ث فى « اشقودراه » عن رجل جمع إلى شرف النفس ، مضاء ‍م ، وأصالة الرأى ، وغزارة المعرفة ، وسلامة التفكير ، وإنى ‍د أنى قد وصلت الآن إلى ما كنت أبغى فإنى أقرأ فى صفحات ‍ك آيات الحزم والوفاء ، وإنى واجد — لا محالة — فى قلبك ‍نا للأسرار حصينا .

— هو ما تقول . ولك — إن شاء الله — ما تريد .

— لست أدرى يا سيدى من أين ، ولا كيف أبدأ الكلام ؟ موضوع الحديث مستغرب وستشاركنى فى الدهش والحيرة ‍ما تسمع ، ولا إخالك إلا متعجبا — وهنا أدنى فريد كرسيه القروى حتى تلاصقا ، فقد استهواه أن يقف على جلية الخبر هذه التقدمة الشائقة ، وقد شرع « بيرام » يتكلم فى موضوعه أن تحرك فى كرسيه فقال : لقد عثرت فى الأدغال على أشياء ‍يرة ذات قيمة عظيمة جدا وهى لا بد أن تكون غالية الثمن . ‍ب إليه فريد نظره فى هذه اللحظة ليستدل من ملامحه على ‍ب حديثه من الصحة ، فلم ير أمامه إلا وجها كساه جمال ‍ولة ، وبدت عليه سمات الجد ، ومخايل الذكاء ، وحب المغامرة . ‍بيرام فقد استمر يقول : لا تيأس أيها السيد فإنى أود أن ‍ط لك الموضوع من بدايته كما حدث ، وأرجو أن تفسح لى ‍ك وتلقى إلى بالك فإنه من الخطورة بمكان .

— لك ما تشاء ، وستجد منى صدرا رحبا .

— إنى أمتلك قطعة أرض قريبة من بيتى ، وقد نبت العشب ‍كلأ فيها بكثرة ، وبها كثير من الأحجار الصالحة للبناء . ‍كنت على عزم تجديد البيت واستصلاح الأرض رأيت أن ‍تلك الأحجار لأنتفع بها ولأنظف الأرض منها لتصير صالحة ‍بات ، ولم يكن يساعدنى فى ذلك غير والدتى ، وبينما نحن نعمل بجد وقعت فأسى على حجر كبير ، ودفعنى حب الاستطلاع إلى إزالة ما عليه من الأتربة ، وإخلاء ما حواليه فدعوت والدتى لتعاوننى فى ذلك العمل ولتعيننى على نقله ، وبعد جهد ومشقة استطعنا أن نحركه من مكانه ، فإذا به غطاء لبئر عميقة يصل الإنسان إلى قاعها بواسطة سلم طويل قد نحت فى الصخر ، وكانت البئر حالكة الظلمة ، فأرسلت والدتى إلى البيت فأحضرت المصباح بسرعة ! … إنى عاجز يا سيدى عن أن أصور لك حالتى فى تلك اللحظة ، وقد كنت أسمع والدى — عليه رحمة الله — دائما يقول : لو حفر إنسان هذه الأرض لعثر على كنوز قيمة جدا .

كان فريد يستمع إلى « بيرام » وهو مبهوت ، وكانت عيناه لا تبرحان النظر إلى شفتيه وهو يتكلم ، وحينما وصل من حديثه إلى هذا الحد سأله : هلا دخلت البئر ؟

— وكيف لا يا سيدى ؟ سأحدثك بكل شىء فلا تتعجل . فإنه لما عادت والدتى بالمصباح أمسكته بيدى ونزلت وكل همى أن أعرف عن المكان كل شىء : عددت درجات السلم فوجدتها خمسين درجة ، وبعدها انتهيت إلى حجرة واسعة تبلغ مساحتها ضعف مساحة هذه الحجرة ، ثم فرك « بيرام » عينيه وغير من نبرات صوته مما زاد فى التأثير على « فريد » الذى كان بجواره جامدا كالتمثال ، كله انتباه وإصغاء حتى لا يفوته من حديث القروى شىء ، لذلك نراه يستعجله بقوله : وأخيرا ما ذا رأيت ؟

— رأيت يا سيدى أشياء غريبة جدا ! لا أدرى عن أيها أتكلم أولا : رأيت تماثيل لرجال من الأحجار ، ورأيت كثيرا من الأوانى الكبيرة المصنوعة من الفخار التى يطلق الناس على الواحد منها إسم « الزير » ويبردون فيها مياه الشرب ؛ هذه الأوانى ملأى بتراب ثقيل لامع ، ورأيت كرسيا كبيرا من الذهب . فاستعاد « فريد » فى استغراب وفى صيغة سؤال عبارة بيرام الأخيرة : « كرسيا كبيرا من الذهب » ؟ ثم مال بجسمه نحوه كأنه يريد أن يفصح أكثر من هذا وقال له : وماذا رأيت أيضا ؟

— ماذا أقول لك ياسيدى ؟ إن ذاكرتى لا تعى كل مارأيت فإنها كثيرة جداً ، وستراها بنفسك عند ما تذهب معى !.. هناك أسلحة كثيرة مزينة بالأحجار الكريمة . وهناك لوحات كبيرة من الرخام على الجدران نقشت عليها نقوش قديمة . ثم سكت برهة كأنه يستذكر ما رآه وعاد يقول : فاتنى أن أقول

لسيدي إن في وسط الحجرة تماما كرسياً طويلا جداً وهو دقيق الصنع جميل الشكل فاقع الاصفرار ، وقد ثبت في الأرض بمسامير وتتدلى فوقه من السقف سلسلة طويلة من الذهب الخالص تنتهي بقنديل صغير الحجم أصفر اللون لم أر في حياتي أجمل منه ... وفي ركن من الأركان مهد من الذهب تجلت فيه آية الفن القديم ، وأبدعت فيه يد الصانع فكان تحفة نادرة المثال . هذا كل ما أذكره الآن يا سيدي من تحف الأشياء التي تخلب اللب وتبهر العين . ثم سكت ونظر إلى فريد إيذاناً بأن حديثه قد انتهى وليعرف مدى تأثره بما سمع . وفي هذه اللحظة كان الخادم يدق الباب حاملا إليهما القهوة فصاح فيه فريد بصوت الذي استيقظ من نومه دون أن يتم حلمه اللذيذ : لا نريد قهوة ، فاخرج واتركنا وحيدين . ثم التفت إلى بيرام وقال له : هل أنت متأكد أن أحداً غيرى لم يطلع على هذا الموضوع ؟

— قلت لسيدي إنني قضيت أكثر من سبعة أيام أفتش في «أشقودراه» عن رجل أستطيع أن أعتمد عليه . وأنا ياسيدي رجل ولدت ونشأت في الجبل ولم تمكني ظروفي من الاختلاف إلى المدرسة ، ولذلك تنقصني الشجاعة لأقوم بمثل هذا العمل وحدي لجهلي بقيمته من ناحية ، ولأن حالتي المادية وحالتي الاجتماعية لا تساعدانني ، ولخوفي من أن أحداً يكتشف أمري فيرشد ولاة الأمر علي من ناحية أخرى . وإن القدر ساقني إليكم ؛ فقد علمت من أهل الناحية أنكم — أنت ووالدك — أهل ثقة وكرم ، ومروءة وشرف ، فكن على ثقة يا سيدي بين أنني لم أتحدث إلى أحد قبلك في هذا الشأن وأنه لا يعلم به الآن سوى ثلاثة : أنت ، وأنا ، ووالدتي .

انتصب فريد واقفاً واخذ يذرع أرض الحجرة ذهوبا وجيئة ؛ فقد هجمت عليه جيوش جرارة من الأفكار ؛ ساوره أولا قليل من الشك لم يلبث أن تبدد وحل محله إيمان راسخ بكل ما قال بيرام حينما اقترب منه وألقى عليه نظرة جبارة لم يتأثر القروي منها ، فاعتقد فريد أن ما سمعه لم يكن حلماً يزول بالاستيقاظ من النوم ، ولا قصة أعمل الكاتب فيها خياله ، ولا أكذوبة لفقها بيرام ؛ فإن سذاجته وعدم تعلمه ومظهره العام وما يدل عليه من طيبة نفس ، وسلامة ضمير ، ونقاء سريرة كل ذلك يباعد بينه وبين الكذب . لا شك أن هذه حقيقة واقعة وأن الحظ قد ساقها إلى والحظ هو كل شيء في الدنيا . والآن نحن في حاجة إلى سرعة العمل ، وحكمة الارشاد وكتمان الخبر . ثم كف فريد عن المشي في الحجرة وتيار هذه الأفكار يدور في رأسه ونظر إلى القروي الذي كان يشم في اطمئنان عبير وردة كانت في يده مما لا يجعل للشك أثراً في نفس فريد ، ولذلك قال له : أنت تعرف يا أخي أن مثل هذه الحكاية يجب ألا يطلع عليها أحد حتى لا يتسرب خبرها إلى أذن الحكومة فتتركك صفر اليدين لأن الآثار ملك للدولة ، وقد أحسنت صنعاً بالمجيء إلى هنا فهذا عمل لا يستطيع امرؤ أن يقوم به وحده ، أو هل تعتقد في نفسك القدرة على الاستفادة من هذه الكنوز من غير أن تستعين بأحد ؟

— لو كان الأمر كذلك لما كلفت نفسي مشقة البحث عمن أطمئن إلى معونته .

— أؤكد لك — وأنا صادق — أن التوفيق قد حالفك حين اهتديت إلينا ، وإني أعاهدك عهداً لا أحنث فيه أن كل شيء نكسبه من هذه سنقسمه مناصفة ، وهذي يدي وعلى عهد الله وميثاقه وهو على كل ما نقول شهيد ، فمد إليه بيرام يده وتعاقدا على ذلك ، ثم أخذ فريد يقطع الحجرة ثانية ذهاباً وإياباً تاركا العنان لأفكاره التي تضاربت وتعددت وتشعبت ، فمن رحلات للبلاد النائية ، إلى مشروعات تجارية واسعة ، إلى تمرغ في أعطاف النعيم ، وتمتع بما لذ وطاب من أنواع المتع ، إلى إنشاء فنادق فاخرة ، وابتياع سيارات فخمة ، وعبث مع النساء ، وغير هذا وذاك مما يمليه الهوى وتسعف به النقود . ثم إنه تذكر فجأة أن الوقت أثمن من أن يضيعه في مثل هذه الأفكار ، وإنما يجب العمل السريع الحاسم ، فرجع إلى بيرام وجلس بجانبه . وقال له : قل ثانية ما ذا رأيت في هذا الكهف العجيب ؟ فأخذ القروي يعيد تعداد الأشياء التي سردها آنفا مسهباً في وصفها وفريد يستزيده ويستوضحه ويمطره بوابل من الأسئلة فقد سأله ما عدد الأزيار ؟

— أربعة عشر كل واحد منها أطول من قامتي .

— وهل أدخلت يدك في أحدها ؟

— لا ! ولكني رأيت فيها تراباً أصفر اللون .

— وهل هو ذهب ؟

— لا أستطيع أن أؤكد هذا .

— وماذا فى الكهف غير ما ذكرت ؟

— فيه كل شىء ! ... فيه تمثال لإنسان فى ناحية منه حجمه كبير جداً وفى وسط التمثال باب من الحديد .

— وهلا فتحت ذلك الباب ؟

— فى اليوم الأول اعترانى خوف شديد فلم أفتحه ، وإنما فتحته بعد يومين اثنين .

— وماذا رأيت ؟

— رأيت أشياء لا يكاد العقل يتصورها ، فالباب الحديدى الذى فى وسط التمثال إنما هو باب حجرة تبلغ مساحتها مثل مساحة الأولى سبع مرات تقريباً . وهى مملوءة على سعتها بأعمدة من الرخام وتماثيل رجال من الأحجار وكراسى كثيرة صنعت من معادن مختلفة وكلها موضوعة فى نظام دقيق غريب .

— وهل هذه المقاعد من الذهب ؟

— لست أدرى لأنى لم أقترب منها .

— ولماذا لم تأت بقطعة منها « كعينة » ؟

— نحن يا سيدى أناس جهلة ! تصور أن والدتى ترتعد خوفا عند ما ترانى أهم بالدخول ، وهى لا تتركنى أدخل إلا إذا أقسمت لها أغلظ الأيمان أننى لن أمس شيئاً من الآثار بيدى . وهى تؤمن بالخرافات إيمانها بالله فتعتقد أن هذه الكنوز أمانات للموتى تحرسها الأرواح ، وأن هذه الأرواح تنال بالأذى من يمد يده إلى تلك الأمانات .

— هذا كلام فارغ ! واعتقاد فاسد ، ووهم باطل ... كم من الوقت تستغرق المسافة بين هنا وبين منزلكم ؟

— تستغرق ساعتين أو ساعتين ونصفاً على أكثر تقدير .

— إنى أود أن أرى قطعة من هذه الآثار فما رأيك ! أريد أن أراها لأتحقق أذهب هى أم فضة أم ماذا ؟ فرجائى أن تذهب الآن وتعود بقطعة منها .

— أمرك نافذ ياسيدى ! ولكنى أرى أن القيام بهذا العمل فى النهار غير مناسب ، وإنما يناسبه الليل ؛ لأنه أحفظ للأسرار ثم إنى على ميعاد فى السوق اليوم ولا بد من الذهاب إليه قبل العودة إلى المنزل .

— أنصحك بترك كل عمل آخر لنتفرغ لعملنا نحن ؛ فإننا سنعيش منه مترفين ولن نحتاج لشىء ولا لأحد مدى الحياة .

— الحق ما تقول ، وإننى لن أذهب إلى السوق لقضاء مصلحة ، وإنما لمقابلة صديق ينتظرنى . فسأله فريد فى صوت الخائف الشاك ، ومن يكون ذلك الصديق ؟

— رجل لا تعرفه . وسأكون بعد غروب الشمس فى بيتى ، ومهما تأخرت فسأرجع إليك الليلة « بالعينة » موضوعة فى غرارتين مملوءتين بالفحم .

— وأى شىء تأتى به من هذه الآثار ؟

— سآتى — إن استطعت — بشىء من القنديل ، ومسامير المقعد الكبير ، وما يمكننى قطعه من المهد .

— لا ! لا ! لا تمس المهد بسوء ، ولكن أدخل يدك فى قاع « زير » وأت بشىء مما تحت الغبار ، وإن لم تجد غير الغبار فيكفى أن تأتى ببعضه فى منديل .

— إنها يا سيدى مهمة شاقة ؛ فإنى كلما أردت الدخول بكت والدتى وملأت الدنيا صياحاً ، ولكنى سأفعل المستحيل لإرضائها ، والقيام بما أمرتنى به .. وهنا أدخل فريد يده فى جيبه وأخرج كيس نقوده وأخذ منه جنيهين من الذهب ووضعهما فى يد بيرام وقال له : خذ هذا المبلغ الضئيل واشتر لوالدتك هدية وحاول أن تقنعها أنها إن تركتك حراً فستصبح بعد زمن يسير من أغنى الناس، وأن ما تدعيه من أن ما فى الكهف أمانات تحرسها الأرواح إنما هو خرافة ، فأخذ بيرام المبلغ ووضعه فى جيبه ثم استأذن فى الخروج على أن يعود ثانية بعد الظهر . فقال له فريد : سنتعشى هنا معاً .

— لا ! يا سيدى أشكرك .

لا ! لا ! لابد بعد عودتك من السوق أن تتناول العشاء معاً ثم تخرج إلى بيتك .

— أمرك يا سيدى !

— سأنتظرك . ولما هم بيرام بالخروج ناداه فريد وقال : هل تسمح أن تشرفنى بمعرفة اسمك ؟ فإنى نسيت .

— إسمى بيرام يا سيدى ... قال هذا ثم انصرف .

(يتبع) **وهبى إسماعيل حقى وإبراهيم خير الله**